صورة علي بن أبي طالب عند الشيعة من خلال مواقع اليوتوب

الباحث فوزي غنيمي
جامعة سوسة -تونس

ملخّص

لا يختلف اثنان في أنّ للصورة جبروتها وقوّتها الترميزيّة والتوجيهيّة. وقد يزداد جبروتها كلّما اتّصل الأمر بنمذجة الزعيم السيّاسي، فهي إحدى الرؤى التي تمثّل بها الخطاب السيّاسي الشيعي رموزيّة أئمّته الذين يظلّ علي بن أبي طالب فاتحة كلّ قول فيهم منذ مناصرته من قبل من اعتقدوا أنّه الإمام من بعد ابن عمّه النبيّ محمّد ردّا على إجماع السقيفة. وتبرز قوّة الصورة أكثر لحظة تآلفها مع بلاغة الإبداع الرقمي، الذي نراه قد ساهم هو الآخر في طمأنة التصوّر الشيعيّ على تعبئة المريدين وانعتاقهم من سلطة المقروء والتقيّة. فأضحت اليوم مواقع اليوتوب ملجئهم ومتنفّسهم للصدح بما غيّبته سلطة الآخر السنّي حفاظا على حرمة المقدّس الإسلامي ورموزه.

ولم يشذ التصوّر الشيعي في مواقع "اليوتوب" في رؤيته لرمزيّة علي بن أبي طالب عما آمن به السلف. فصورته الأثيلة لازالت تُراوح مكانها. ورغم ما فيها من تقديس وجبروت رمزيّ إلاّ أنّه قد جنح بها أصحابها إلى أبلغ درجات الغلو، وأيّ غلو؟، إنّه الغلو الذي حوّله من البشري إلى المثيولوجيّ، متعاليّا به عن التاريخيّ والمقدس.فحضر علي أبّا للبشريّة ونبيّا وإلها أيضا ، ممّا يشي باستئثار المتخيّل السيّاسي دون غيره بتشكيل الصورة. فلم يكن الدين أبلغ منه، وكان التاريخ رغم حقيقته عاجزا هو الآخر.

وقد أنّى لنا مساءلة ذلك التصوّر عن جدوى الغلو، أليس في الأمر مخاطرة قد تؤدّي إلى عكس ما يتمنّاه المرء؟ في ظلّ إنكار الإصلاحيين الشيعة ما آثره بعض الغلاة في الأئمّة. فليس كلّ قول أو صورة خطابا منبتًا.

الكلمات المفاتيح: صورة ،علي ، شيعة، يوتوب، سيّاسي.

Abstract

There is no doubt that “ image” has a great impact on the audience and its power increases ever more when it comes to the symbolic modeling attributed to a political leader.

In fact,the Shiite political discourse has relied on " image" to respect the symbolic and "holy" status of Ali ibn abi Talib, the model leader, whereby each Shiite Imam's speech begins with a description of him. Ever since the Shiite promotion of this leader .the main belief of the Shiite , in fact, is that Ali ibn abi Talib should be the imam following the death of his cousin the profit Mohammed.

The power of this image has flourished ever more with the new technological advancements which have contributed in its turn to reassure the shiite perception to get enhanced into the Shiite ideology . yutube, for example, has becamp.

المقدّمة

تغري الصورة الناظر إليها، فهي تجمع بين هاجسي الإبداع والتعبير عن الهويّة الجمعيّة. وتزداد إغراء كلّما كانت تمثيلا لأحد الرموز الدينيّة أو السيّاسيّة لما يمثّلونه من سلطة وكاريزما. ولعلّ علي بن أبي طالب أحد تلك الرموز التي استأثرت باهتمام عموم المسلمين، خاصّة لدى من تشيّعوا له وأجمعوا على أنّه الأحقّ بخلافة نبيّ الإسلام. فألهم فكرهم السيّاسيّ ووجّه اعتقادهم الدينيّ.

ولا غرابة أن تستمر في الذاكرة العربيّة ظاهرة تقديس وتأليه صحابة النبي محمّد، حتى نالوا من الاهتمام الشيء الكثير. فإنتاج صورهم في المتخيّل الإسلامي ظلّ هو ذاته، بل نراه في غالب الأحيان قد غيّب الحقائق التاريخيّة ، خاصّة تلك التي مسّت فترة خلافتهم تحت ما يسمّى بالخلافة الراشدة، حفاظا على قداستها ورمزيّتها لاتّصالها بالرمزيّة الدينيّة لمعنى إمامة المسلمين من بعد وفاة الرسول. فالخلافة بمعناها الذي ألحّت عليه الأدبيّات العربيّة الإسلاميّة هي لمّ شمل أمّة النّبي تحت رايّة الإسلام اعتقادا وسلوكا وأيضا ممارسة سيّاسيّة. وقد عمل أرباب الفكر العربي الإسلامي على توجيه اعتقاد عامة المسلمين الوجهة التي أُريد لها أن تكون: فقداسة فعل الصحابة وجهة يشترك فيها كلّ من السنّة والشيعة رغم فارق الرؤيّة السياسيّة. ويبدو علي بن أبي طالب الصحابي الوحيد الذي تتّفق صورته لدى قطبي المذهبيّة الإسلاميّة ونال ذات الرمزيّة، لكن نراها قد جاوزت حدود المألوف لدى من تشيّعوا له وألحّوا عل أحقيّته بخلافة نبيّ الإسلام.

والطريف أن صورة علي بن أبي طالب – على قداسته ورمزيّته الدينيتين– الكامنة في الخطابات الشيعيّة، وأمام تعدّد فضاءاتها قد تلبّست بالمثيولوجي والأسطوري. فقد فتحت الثورة الرقميّة المجال لتحويل تلك الصورة من الحيّز النصّي[1] إلى الفضاء المعلن[2] ، وإذا بالتصوّر الشيعي قد حوّل صورة الإمام علي أكثر ديناميكيّة. فالصورة المضمّنة داخل مواقع اليوتوب تكشف عن نمطيّة صورته في المتخيّل الشيعي من جهة، وعن أثر المعرفة المعاصرة وقدرتها على تدويل التصوّر الشيعي حول شخصيّة ابن عمّ الرسول محمّد من جهة أخرى. فما تتضمنّه مواقع اليوتوب هو سليل المستوى الأوّل من الاعتقاد الشيعي. فتصوّر علي بن أبي طالب هو تصوّر سياسي ديني وثقافي، وظيفته تحقيق التجانس بين أفراد الجماعة الشيعيّة. وليست مقاطع اليوتوب إلاّ استئناف نظر لتمثّل جماعيّ لماض وشخ يستمدّون منه أصولهم وإليه ينتسبون. فبناء المجموعة الشيعيّة ظهر في هيئة نواة سياسيّة هي علي، ومن ثمّة نشأت معارفها. والأسئلة المطروحة ههنا ماهي ملامح صورة علي بن أبي طالب في مواقع اليوتوب ؟ وكيف تشكّلت؟.

صورة علي بن أبي طالب ودلالاتها

إنّ الصورة[3] حالة تمثيل ذهنيّة تعبّر عن هويّة جماعيّة، وصورة علي بن أبي طالب وإن تشكّلت منذ اللحظات الأولى لوفاة النبيّ محمّد إلاّ أنّها ظلّت راسخة في المخيال الجمعي الشيعي. حوّلت شخصيّته من التاريخيّ إلى القدسيّ بل نراها جاوزت القدسيّ إلى التأليه. إذ تكشف مواقع "اليوتوب" عن مغالاة العقل الشيعيّ في تدبّره لصورة إمامه.

وإنّ أكثر ماوقفنا عليه وشدّ انتباهنا في شدو المغرّدين الشيعة في مواقع "اليوتوب" عند حديثهم عن الإمام علي ، كثرتهم وتزاحمهم في نيل فرصة التعبير عن ولائهم له ولآل البيت من بعده. يسعى عمومهم إلى تمجيده ونمذجة سلوكه ومواقفه – السيّاسيّة خاصّة– وتقديسه. وعلى غير عادة بقيّة المغرّدين من المسلمين، ألفيناهم يهتمّون بعلي دون غيره من صحابة النبيّ، وإن ألمحوا إليهم فلا يعدو ذلك إلاّ أن يكون قدحا فيهم وردّا على مواقفهم التي أربكت طريقه السيّاسيّ.

رغم وحدة الانتماء – علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وخليفة لرسول الإسلام– فالتفاوت في القول والتمثّل والصورة والرمزية بيّنٌ بين التصوّرين السنّي والشيعي في صورة الخليفة الثالث: الأوّل يصوّر علي على أنّه الصحابي الذي آمن بنبوة محمّد وافتداه في غار حراء، في حين ينظر إليه الثاني على أنّه الإمام الذي خذله عموم من كان في السقيفة. فالمبالغة الشيعيّة متولّدة من المقالة السيّاسيّة في حين أنّ النظرة السنيّة محكومة بالمقالة العقديّة. وقد

صار بفعل الاحتكام إلى الإيديولوجي القول الشيعيّ قولين : قول في السياسة وقول في الدين. أُردف بتخيّر الإشارات القرآنيّة وماهو منسوب إلى النبيّ محمّد من أحاديث سواء الصحيح منها أو الذي يُحمل على الصحّة. ولعلّ اختلاف أصل المقالات – سياسي وديني- هو الذي أنشأ صورتين متنازعتي الشكل والمضمون بين السنّة والشيعة. ولا غرابة أن يحصُل ذلك، فالسياسيُّ فعل فعله منذ البدء في التصوّر الشيعي، نراه ملفتا للانتباه في الخطابين النصيّ والإعلاميّ. فلم تتغيّر الصورة نتيجة التحوّل من النتفة الخبريّة النصيّة إلى الفضاء الرحب.

وإنّنا نرى أنّ الصورة كانت فضاء احتجاجيّا استغله المتشيّعون لعلي للردّ على الاختيار والتصوّر السنيّين. فعلى الرّغم من اتّباع الشيعة لنسق التقيّة إلاّ أنّهم ضمّنوا أدبيّاتهم صورا متنوّعة لأئمّتهم تعبّر عن تطاولهم على ما أفرزته السقيفة. والثابت أنّ الصورة الشيعيّة للإمام قلّ أن نجد لها نظيرا لدى بقيّة الفرق الإسلاميّة، تجمع بين ماهو تاريخي وسياسي مثيولوجي. وهو أمر نلحظه منذ بواكير الفكر الشيعي إلى اليوم. فكأنّنا بهم يقولون " تعالوا أيّها الأمم لنريكم ما به افتخارنا"[4]. فإدراك كنه الاعتقاد الشيعي لا يتمّ دون النظر في مسألة الإمامة، التي وجهّت الاعتقاد والفكر. وقد أدّى تركيزهم المفرط عليها إلى قصور العقل عن تلمّس عديد الحقائق سنكتشف البعض منها في ملمح صورة علي. فقد أُغتيل العقل الشيعيّ على حد عبارة علي الكاش[5]. وبدت ملامح ذلك الاغتيال ظاهرة في تشكيله لصورة الإمام علي. فالصورة في نهايّة المطاف جماع التفاعل الجوهري بين الاعتقادي والفكري والثقافي رغم اشتراطها عنصر الإبداع الذّي قد يكسر الإيديولوجي شوكته[6]، لأنّ ما يتغيّاه رسوخها في الذاكرة الجمعيّة. وليس أدلّ على ذلك نزوع صوّر الأئمة عند الشيعة إلى الغريب متأثّرة في ذلك بالمثيولوجي رغم بشريّتهم.

صورة البدايات: أبوة علي بن أبي طالب للبشر

لم يغفل المغردون الشيعة في مواقع اليوتوب في سعيهم لتعميق هوّة القداسة بين علي بن أبي طالب وبقيّة صحابته عن إيجاد كلّ مقوّمات التقديس وإن تشابكت مع الغلو. فإعلاء شأنه دفعهم إلى القول إنّ ابن أبي طالب هو أبّ البشريّة نافين عن آدم تلك الهبة الإلهيّة. ففي إحدى الفيديوهات يقول أحدهم بأنّ التاريخ المتعارف عليه حول ولادة علي هو ما يتراءى لنا في عالم الدنيا فقط" ولد عليه السلام في الثالث عشر من شهر رجب الأصد في السنة العاشرة قبل البعثة النبوية الشريفة ، لكن هذا ما يتراءى لنا نحن في عالم الدنيا هو ظاهر ما نعلمه"[7]. فهذا القول يدحض تاريخ ولادة علي الذي تجمع عليه كافة كتب الأخبار. ويُنبئنا بغير ما تعارفت عليه الأمم والثقافات الدينيّة التوحيديّة منها وغير التوحيديّة، التي أجمعت على أسبقيّة آدم في عمليّة الخلق وأبوّته للبشريّة،

رغم ما يتداخل بعض النصوص من أساطير تفيد بأنّ عملية الخلق تمّت بحاجة الآلهة إلى ذلك مثل ما هو موجود في النصوص السومريّة " فمن أجل العنايّة بطيّبات حظائرهما تمّ خلق الإنسان"[8] . فقد ظهر علي بن أبي طالب لدى بعض الشيعة قبل آدم، هو الذي "علّم الملائكة أن يسبّحوا وأن يصطفوا لله تعالى"[9]. فقيل بأنّه لما أقبل علي على الرسول: تبسّم في وجهه وقال: مرحبا بمن خلقه الله تعالى قبل أبيه آدم عليه السلام بأربعين ألف عام"[10].

واللافت للنظر في هذا القول أنّه يجمع بين متناقضين: أبوّة آدم لعلي وولادة علي قبل أبيه آدم. وذاك التناقض يؤكّد على غرابة التصوّر الشيعيّ وغلوّه، فكيف يسبق الابن أبيه في الولادة؟ ولا نخال أنّ العقل الشيعيّ غير واع بمثل تلك المزالق[11]، التي قوّضت كافة المسلّمات الدينيّة التي ألفيناها في النصوص التي أوحى بها الله إلى أنبيائه المرسلين.

لم تكن قصّة الخلق التي يقدّمها الشيعة غافلة أو منقطعة الصلة عن غيرها من قص الأوّلين من الرموز الدينيّة التي تداخل فيها التاريخي بالمثيولوجي، خاصّة تلك التي اتّصلت بالأنبياء وتابعيهم[12]. وقد نبرّر ذلك التواشج برمزيتهم الدينيّة، إلا أنّه وفي المقابل لا يمكننا بأيّة حال أن نغفر للعقل الشيعي نزوعه إلى الغريب في رسمه لصورة علي بن أبي طالب على أنّه أب للبشريّة وأنّ ولادته قد سبقت آدم. فتلك الصورة قد أمعنت في المغالاة، والعلّة في ذلك أنّ شخصيّة علي شخصيّة بشريّة لها وجودها التاريخي والديني ومن بعده السيّاسي، وهو ما لاينكره غالبيّة المسلمين، بل إنّ ما ينكرونه تحويل تلك الشخصيّة من البشري إلى القدسي لدى الشيعة تأسيّا بمقالة الإمامة الإلهيّة. فقداسة علي التي تكفلها له صحبته للنبي محمد لا يمكنها أن تحوّله من البشري إلى المثيولوجي بأيّ حال من الأحوال.

ويبدو أنّ تشبّع الوعي الشيعي بمقولة أفضليّة علي على سائر الخلق بعد النبي محمّد، حتّى أضحى " هو أفضل الكائنات البشريّة من رجال ونساء بعد النبي، وهو أمير المؤمنين..."[13] قد كان له عظيم الأثر في إيجاد صورة على الشاكلة التي نلمحها في المتخيّل الشيعي. فصورة الإمام علي تعاضد في تشكيلها الإيديولوجي والعقدي " فالسيّاسة بأساليبها الماكرة وأدواتها الناعمة"[14] قد أمعنت في تغليب المثيولوجي على التاريخي ، فتدبّر الذات الشيعيّة تمّ منذ البدء سياسيّا. فالشيعي لا يهدأ له بال إلاّ إذا نصّب علي بن أبي طالب إماما على المسلمين. ونراه عاقد العزم إلى اليوم على افتكاك الحقّ الذّي سُلب منه في السقيفة. فالسيّاسي هو الفلك الذّي يتحرّك فيه الفكر الشيعي.

وإنّ إيمان العقل الشيعيّ بداهة بإمامة علي وسعيّه المتواصل إلى إكسابها الشرعيّة الدينيّة، بالقول إنّها اختيّار إلهيّ – عبر إيجاد الدلائل النصيّة إما بتأويل آي القرآن وتحميله ما لا يتحمّله من معنى أو بإنطاق نبيّ الإسلام ما لم يقله– لا يمكنه أن يؤسّس لصورة خلق يكون فيها علي بن أبي طالب هو أبّ البشريّة، مقوّضا كافة المسلمات والمعارف الدينيّة، فحتّى الأسطورة ذاتها لم تذهب إلى غير ما ذهبت إليه النصوص الدينيّة. ولنا أن نساءل العقل الشيعي عن جدوى ذاك التصوّر؟.

وقد يكون تشكيل صورة علي بن أبي طالب على أنّه أبّ البشريّة عوض آدم نتاج مسلمّات[15] تراكمت في المتخيّل الشيعي، تراكمات تداخل فيها السيّاسي والثقافي والأسطوري. فالنظر في الأدبيّات الشيعيّة يحيلنا على تنامي شخصيّة الإمام[16] – خاصّة الإماميّن علي وابنه الحسين– لتتحوّل إلى شخصيّة هلاميّة. فمن المسلّمات التيّ ترسخت في الوعي الجمعي أنّه لاتقوم حجّة لله على خلقه إلاّ بإمام[17]، وفي ذلك إطلاق لسلطة الإمام أمام سلطة الله، ممّا ساهم في نمذجة شخصيّته وتقديسه. فأقوال السلف من الشيعة[18] قد صارت حجّة يتأسّى بها الشيعي المعاصر. وإنّنا في هذا السيّاق نضمّ صوتنا إلى صوت علي شريعتي عندما يتساءل عن دواعي تأليه الأئمّة بقوله " الأئمّة ماذا كانوا يفعلون؟"[19]. فتأليه الأئمّة غير أثيل في النص القرآني ولا يسنده الحديث النبوي.

كما يمكن القول إنّ النظر إلى علي على أنّه أب البشريّة تغذّى بما أجمع عليه المحدّثين الشيعة قديما عندما قالوا إنّ " الأئمّة عليهم السلاّم خلفاء الله عزّ وجلّ في أرضه وأبوابه التّي منها يؤتى"[20]، ممّا ألهم تابعيهم إلى تأويل ذلك الرأي وقصره على معنى استخلاف الله في الخلق. وقد يكون إنكار الملائكة لخلافة آدم لله في الأرض" **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** "(البقرة2–30) حجّة عمّقت رؤيتهم في أنّ الإمام علي هو خليفة الله. وهو ما يظهر في قولهم إنّ "علي هو من علّم الملائكة أن يسبّحوا وأن يصطفّوا لعبادة الواحد القهّار"[21].

فقد عمل الوعي الشيعي منذ لبناته الأولى ردّا على المنكرين لأحقيّة علي بخلافة نبيّ الإسلام على تعميق هوّة القداسة بينه وبين صحابة الرسول محمّد إلى حدّ اعتباره أب البشريّة. فيبدو أنّ الحظّ الذّي ناله آدم بتمّتعه بحصانة الخلق الإلهي لم يركن إليها المغرّدون الشيعة ولم يستسيغوها منكرين أثالة أبوّة آدم التاريخيّة [22]للخلق البشري، وأيضا الدينيّة بحسب ما أجمعت عليه كافة النصوص الدينيّة . فإظهار صورة علي بن أبي طالب على أنّه أبّ للبشريّة ينكره العقل البشري مثلما تنكره الأدبيّات الدينيّة. فمسار الخلق البشري – بشقيه التاريخيّ

والأسطوريّ- يدحض وبشدّة ما يتوهّمه العقل الشيعيّ حول إمكانيّة أبوّة علي للبشريّة، وعليه فإنّ ذلك القول قد أمعن في المغالاة مثلما أمعن في غيره من الصور، وأصبح في غاية التعقيد، يحمل بين طيّاته الشيء ونقيضه. ويمكن أن نقرّ بأنّ ما يستبطنه الراسمون لصورة علي " تعبئة الجماهير" [23] من المريدين لاغير عبر السيطرة عليهم "بقوّة استدلالهم وسحر كلامهم"[24]. ونجد أنّ تلك الصورة تزداد إغراء كلّما أسهبت في تعيين العجيب والخارق من صفات علي. ولانخال أنّ حضور العجيب والغريب في قص الأئمة دأب شيعيّ محض، فقد زخر التراث العربي الإسلامي باهتمام العرب بالغريب في كتاباتهم أدبا وفقها وتفسيرا[25]. فكأنّ بالعجيب الخارق هو الذي يؤسّس لنشوة العرب.

صورة علي بن أبي طالب الدنيويّة: القيّادة العسكريّة

تنبئنا كتب الأخبار عن وجود علي بن أبي طالب التاريخيّ، صحابي وثالث الخلفاء الراشدين. ولئن ركزّت تلك الأخبار على رمزيّته الدينيّة في جهة أولى والسيّاسيّة في جهة ثانيّة،فكتب التاريخ والسيرة والتراجم أجمعت بما لا يدع مجالا للشكّ جمع علي لجملة من الصفات الأخلاقيّة التي إمّا تعادل ما حاز عليه غيره من الصحابة أو تفوقهم (التصوّر السني)، بيد أنّها – وبفعل الإقصاء السيّاسي[26]- لدى الشيعة بدت أكثر تنميطا ونمذجة عبر تعديل ما استولى فيه النظر سنيّا لإثبات حقيقة قد تكون مخفيّة عنهم. فتحوّلت الصورة بفعل "تضخيم الأنا"[27] الشيعيّة إلى صورة "ميثيولوجيّة متعاليّة (نشأ) عنها متخيّل سيّاسي ديني ثري"[28]. فبدا التعارض السنّي الشيعي واضح المعالم: متخيّل ديني سياسي من الجانب السنّي وآخر سيّاسي ديني من الجانب الشيعي.

وقد كان ذلك التعارض كفيلا بتشكيل صورة الإمام علي على غير ما ألفيناه في التصوّر السنّي. فمنذ البدء يخبرنا المغردّون في مواقع اليوتوب عن شجاعة علي ويقدمونّه على أنّه هو الشخ المتكامل "كان هذا الرجل عنوان التكامل"[29]. وليس إثبات صفة التكامل عند علي إلاّ تعزيزا لفكرة خلافة الإمام لله في الأرض. فعلي هو البطل الممتاز على حدّ عبارة هشام جعيط[30]" إذا أخذ بيد رجل أخذ نفسه"[31]. وقد حاول المتخيّل الشيعي إثبات تلك الصفة دفاعا عن رؤيّته السيّاسيّة. خاصّة وأنّه قد أرجع قوّة علي وشجاعته إلى قوّة إيمانه إذ "يستمدّ من إيمانه قوّة لا حدّ لها"[32]، فقوّة الإيمان والشجاعة لابدّ من تواجدهما في شخصيّة القائد السياسي حتّى يمكنه تدبّر أمور رعيّته، فالإيمان اختيار إلهي والشجاعة دربة سيّاسيّة. فقد "بدا علي من الشخصيّات قويّة الإيمان إلى درجة أن أصبح حبّه من علامات الإيمان"[33]. ونلمح شدّة تأثير المتخيّل السياسي في الحديث عن الشجاعة العسكريّة لعلي، فمبتغى الشيعي تكييف كافة صفات علي وإن كانت جسديّة مع اختياره

السياسي. وقد ركز اختياره ذاك على نمذجة فضائله لأنّ إدارة أمور الرعيّة على الوجه الأفضل تقتضي بداهة وجود التفاضل ، وهو ما ركّز عليه الشيعة في رسمهم لشخصيّة علي، الذي يحضر على أنّه إمام عادل وقائد عسكريّ فذّ. فنرى أنّ تلك الصورة "كانت تمثّلا لصورة الخليفة الكامل الذي يكون ظلّ (الله) في الأرض"[34].
وأدخل في باب التسليم – حسب التصوّر الشيعي- " أنّ الأئمّة هم أركان الأرض"[35].
بحث الوعي الشيعي في كلّ مسوّغات التفاضل بين علي وبقيّة صحابته ، تكريسا لنظريّة الإمامة كاختيار إلهي. فرغم ثبوت سمة الشجاعة العسكريّة التاريخيّة لعلي كغيره من أقرانه من الصحابة إلاّ أنّ إثبات تواشج قوّة الإيمان بالقدرة العسكريّة لا يخلو من تغليب السياسي على الديني. فالصحابة وإن شكّلوا المؤسّسة الدينيّة الإسلاميّة زمن الخلافة الراشدة بيد أنّه لايخلو النظر إليهم في التصوّر الشيعي من الاعتبارات السيّاسيّة، وقد كان لذلك الأثر الكبير في تحويل صورة البعض منهم من القدسي إلى المدنّس[36] – عمر وعثمان- والارتقاء بعلي من المدنّس إلى المقدّس عبر توجيه كافة صفاته الوجهة المثيولوجيّة، قاربت في غالب الأحيان صورة النبيّ محمّد في المتخيّل الإسلامي وفي أحيانا أخرى افتك منه صفة النبوّة عبر إنكار نبوّته.

تواشج الإمامة والنبوّة في صورة علي بن أبي طالب

كان هدف التصوّر الشيعي من وراء كسر الصورة النمطيّة للبعض من صحابة النبي لحساب علي صياغة كاريزما سيّاسيّة لهذا الأخير ومن ورائها الكاريزما الدينيّة طالت حدّ إنكار مسار النبوّة[37] ذاته. فعلي كان أوّل من أوحى إليه الله بمعجزة القرآن " أخرجته أمّه وهو يقرأ سورة المؤمنين"[38] وقد "نزل عليه الوحي قبل الرسول"[39]. فنأى الشيعة بذلك القول بالنبوّة عن الرسول الخاتم وألحقوها بعلي.
ويتأتّى زعمهم بنبوّة علي ذو وجهين: وجه أوّل ينكر النبوّة تماما، ووجه ثان يشرّع لاستمرارها[40] وبين القولين إصرار على تغييب النبوّة المحمّديّة وعدم التسليم بها، رغم محاولتهم التخفيف من حدّة التوتر العقدي بينهم وبين نظرائهم السنّة بالقول أنّ إلحاقهم لصفة النبوّة بعلي بإكسابه صفات العصمة والعلم سعي " لإزالة الفوارق بين النبيّ والإمام لتتمحّض وظيفتهما للظهورات الإلهيّة"[41].
وقد يظهر للبعض ابتداع[42] الشيعي المعاصر لفكرة نبوّة علي بن طالب بل هي نتاج تصوّرات قديمة إما ألفها المتأخرّون من الشيعة أو تأوّلوها. فالنظر في كتاب **الكافي** للكليني مثلا يحيلنا على ذات المقصد، فقد "ورد عن أبي جعفر عليه السلاّم أنّه قال: كان والله علي عليه السلاّم أمين الله على خلقه وغيبه ودينه الذّي ارتضاه لنفسه"[43]. فهذا القول قد أسّس لفكرة نبوّة علي.

إنّ توصيفنا لذلك التصوّر بالابتداع دفعنا إليه غرابته، فكلّ ما فيه يُجبرنا على اعتباره بدعة، إذ خالف الناطقون بنبوّة علي كلّ المؤمنين بقص الأنبياء[44] ومسار النبوّة الذّي صيّره مالك الملك. فعلى الرّغم من تداخل التاريخيّ والأسطوري في قصّة نبوّة محمّد في المتخيّل الإسلامي بحثا عن قداسته ورمزيّته الدينيّة، سواء ما اتّصل ببشائر نبوّته أو بإثباتاتها –حتّى تستقرّ مؤسّسة دينيّة– من معجزات وكرامات[45]، فلا يمكن أن يؤسّس أو يُبيح للتصوّر الشيعي – الغالي خاصّة– أن يُنكر تلك النبوّة ، إمّا بإنكارها نبوّة خاتمة – علي هو النبيّ الخاتم– أو بنقضها تماما واعتبار علي هو النبي والشك في أداء جبريل لمهمّته على أكمل وجه.

وعلى الرغم من محاولة درء الصدع بين التصوّر الشيعي في ما يهم نظرتهم إلى علي على أنّه النبيّ الخاتم مع نظيره السنّي ، فإنّنا نرى بأنّ إنكار نبوّة محمّد يتنزّل في سيّاق عدم توصيّته بخلافة علي من بعده وعدم إتقانه لمهمة التبليغ. فقد افتكّ السيّاسي من الديني سلطة توجيه المعارف بما فيها الدينيّ ذاته، ونراه كيّف اعتقاد عموم الشيعة مع ما يقتضيه الاختيّار السياسي وإن مسّ أكثر المؤسّسات قداسة في المتخيّل الإسلامي. ولا غرابة في أن ينظر المغردون الشيعة في مواقع اليوتوب إلى علي على أنّه النبي إن كان الإمام قد شُبّه بآي القرآن، فعن داود الرّقّيّ قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله تبارك وتعالى "وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ "(يونس:10-101) قال: الآيات هم الأئمّة والنذر هم الأنبياء عليهم السلام"[46].

إنّ إقرار نبوّة محمّد يتعارض إلى حدّ كبير مع مرتكزات الإسلام الشيعي رغم نشأته السيّاسيّة. فيرى "يان ريشارد" عند تحليله لمقوّمات الإسلام الشيعي بأنّه قد ثبت أنّ الشيعة يتّفقون مع السنّة في وحدة الن المقدّس – القرآن– وأيضا في أنّ النبيّ محمّد هو نبي كلّ المسلمين[47].

وقد ألمح محمّد علي أمير المعزّي إلى علّة ذلك التناقض ، فمصدره اتّخاذهم من الحديث المرويّ عن الأئمة حجّة نصيّة أكثر قداسة من القرآن بالقول " إنّ الشيعة وإن اتّفقوا مع السنّة على أنّ القرآن هو الكتاب المقدّس للإسلام إلاّ أنّهم اختلفوا معهم في مستوى مرويّات الحديث. فالحديث عندهم – وعلى خلاف السنّة– لا يأخذون منه إلاّ ما روي عن أربعة عشر شخصا هم الأئمة الاثنا عشر والرسول وابنته فاطمة"[48].

فهل يمكن أن يبلغ بهم " إخلاصهم لرموزهم الماضيّة" [49]إلى حدّ تقويض كافة المسلّمات الدينيّة؟. أم أنّ صورة الإمام هي طريقهم لمعرفة صورة النبي " فلا يمكن عندهم معرفة السلوك الرسولي ورمزيّته وقداسته إلاّ عن طريق الإمام"[50]. ونلحظ بشدّة التعارض القائم بين الاعتبارين السيّاسي والديني في التصوّر الشيعي– دائما ما يكون السيّاسي فاتحة كلّ نظر عند الشيعة– ولا يمكن أن يؤسّس ذاك التصوّر لكاريزما الإمام علي السيّاسيّة

مهما حاول أن يستظلّها " بمظلّة الشرعيّة الدينيّة المقدّسة"[51]، خاصّة إذا مسّت تلك الشرعيّة أكثر المؤسّسات الدينيّة تقديسا عند عموم المسلمين مؤسّسة النبوّة .

تسامت شخصيّة علي بن أبي طالب في الوعي الشيعي على المدنّس، شخصيّة لا تشوبها شائبة. فلم يتخطّى ذلك الوعي بعد مرحلة الطفولة السيّاسيّة، ومازالت لحظة اكتشافه لزعيمه علي بن أبي طالب تستهويه، وإن كان يترقّب على عجل ظهور إمامه المهدي المنتظر. وقد بات واضحا عُسر تقبّل الفرد الشيعي وجود إمامة غير إمامة علي ومن بعده بقيّة الأئمّة. يرمز عنده الإمام إلى " سيّاسة التقديس، أو بالمقدّس في السيّاسة"[52]، بل هو " الزعيم الطاهر من كلّ رجس"[53]، فعلى الرّغم من أفول زمن الإمامة إلاّ أنّ الوعي الشيعي المعاصر ظلّ مشدودا إلى ذات تصوّرات السلف، مفتونا بها.

ولا نخال أنّ ما يقدّمه التصوّر الشيعي حول شخصيّة علي بن أبي طالب – رغم ما فيه من التباس بالديني من جهة الحديث نبوّته- أدخل في باب المقاربة التمجيديّة، التي عادة ما " يتحرّك أصحابها داخل دائرة إيمانيّة"[54]، وهو ما يغيب عن صورة الإمام علي المضمّنة في مواقع اليوتوب التي نجدها تناقض إلى حدّ كبير أسس الإيمان القائم على وحدانيّة الله ونبوّة محمّد الخاتمة. واللاّفت للنظر أنّ تلك الصورة تخالف ما تأسّس عليه الإيمان الشيعي هو الآخر الأثيل في كتب الحديث الشيعيّة،التي يستمدّون منها الشرعيّة الدينيّة والسيّاسيّة لنظريّة الإمامة. فقد ورد القول في كتاب الكافي للكليني[55] " أشهد أن لا إله إلاّ الله ومحمّدا رسول الله وأنّ عليّا وصيّ رسول الله"[56]. فهذه الحجّة النصيّة " الدينيّة" تنفي ما يصرّ عليه المغالين في شخصيّة علي.

إنّ تلك الصورة تتعارض أيضا مع مرتكزات التصوّر الإمامي، الذي يؤمن بأنّ " عائلته المقدّسة هي المكوّنة من النبيّ محمّد وابنته فاطمة والاثنا عشر إماما"[57]. وحريّ بنا القول إنّ تلك الصورة ليس إلا ابتداعا سيّاسيّا مفضوحا. فكيف لهم أن يخلفوا وعدهم للنبيّ محمّد بأنّ " الإمامة امتدادا للنبوّة".

يبدو أنّ البحث الطفوليّ الدؤوب على الزعيم الأب[58] قد اغتال العقل الشيعيّ –مثلما اغتال العقل العربي عموما – فإذا به يبتدع صورة " للربّ" غير التي آمن بها كلّ أرباب الفكر الديني ومن بعدهم المتديّنون، صورة عنوانها علي إله الشيعة الأخروي: فمثلما آمن الشيعة بنبوّة علي آمنوا بألوهيّته.

صورة علي بن أبي طالب الأخرويّة: ربوبيّة علي

إنّنا نلمح تكثيفا في صورة الإمام عند الشيعة، وقد يكون ذلك التكثيف محمودا عند البعض ممن يبحثون "عن الزعيم الواحد الأوحد الكاريزماتي"[59]، في حين قد ينكرها البعض ممن يتعلّقون بالمقدّس لأنّها تمسّ من حرمته،

وليس إنكارها سوى نتيجة مزاحمة المتخيّل السيّاسي للمتخيّل الديني، ذاك المتخيّل الذي أضحى بمقتضاه الإمام تجسيدا لصورة الإله[60] وسرعان ما أصبح هو الإله. ولا غرابة في ذلك مالم يسع العقل الشيعي إلى تفكيك التماثل القائم بين صورتي الإمام والمقدّس. وقد نبرّر له تقديسه للإمام بدعوى أنّه حجّة الله على الأرض.

لازال التصوّر الشيعي مصرّا على الارتقاء بالإمام الرمز إلى مراتب الألوهيّة بعد أن صوّره نبيّا، فنجده فاعلا دينيّا إثر حضوره زعيما سيّاسيّا. لتتحوّل نظرته من السيّاسي إلى الدينيّ، ولا يخلو ذلك التحوّل في نظرنا من قصديّة من حيث سعي الراسمين لصورة علي إلى توجيه محتوى الصورة حتّى تكون أكثر إغراء. فالتمسّك بصورة الزعيم السيّاسي العادل[61] لم يعد قادرا على توجيه الاعتقاد في الإمامة. فسلكوا طريقا غير ذاك الطريق وإن كان محفوفا بالمخاطر، مخاطر دينيّة، فلا يمكن للمصوّر أن يغفل عن سلطة المقدّس عند عموم المسلمين وعند الشيعة أنفسهم.فقد يكون المسّ من حرمة صحابة النبيّ مقدورا عليه – رغم ما فيه من مزالق هو الآخر– لكن ستنعدم حتما القدرة لما تُمسُّ الذات الإلهيّة. ومهما كان المتخيّل السيّاسيّ قادرا على نمذجة صورة الزعيم السيّاسيّ إلاّ أنّه يظلّ " للمخيال معقوليّته الخاصّة ومنطقه الداخلي"[62]، معقوليّة قادرة على كبح جماح التخييل المثيولوجي رغم قدرته على تحويل جلّ الخطابات من التاريخيّ إلى اللاتاريخي، والارتقاء بالبشري إلى القدسي.

كانت معقوليّة المخيال حاضرة في بعض الصوّر – التاريخيّة خاصّة لتوافرها على وجه الحقيقة، بيد أنّها عجزت عن الحدّ من سطو التخييل السيّاسي على صورة علي في مواقع اليوتوب . فهو الإله، إنّه الإله الأخروي بالنسبة للشيعيّ. فلم يكتف بعض المغرّدين الشيعة في مواقع اليوتوب من إنطاق صورة علي ما يُكدّر صفوها البشري والتاريخي والديني الرمزي في وجدان عموم المسلمين، بل جسّموه في صورة أبّ البشريّة ونبيا خاتما ومن ثمّة الإله. وتظهر صورة ألوهيّة علي في الاعتقاد بأنّه الإله الناطق بلغة السماء. فمنذ البدء يسعون إلى أن "يتنحّى (الله) عن عرشه والسلطان"[63]، العرش السماوي الذّي صاغه بحكمته، خلقه لسبع سماوات متراصفة. وليس توصيف علي بأنّه صوت السماء إلاّ محاولة لإطلاق عظمته وقوّته التّي تتجاوز عندهم حدود العالم الأرضي. فكأنّ بالسيطرة على عالم الأرض والتصرّف فيه من قبل علي لم يعُد يروق لمريديه. وكأنّنا بلسان حالهم يقول: إن كنتم قد منعتموه من قيادة عالم الأرض فقد آن له أن يقود عالم السماء.

ليس القول إنّ عليّا إله السماء إلاّ تحضيرا لخلافته الأخرويّة. فلم يكفهم القول إنّ عليّا إله السماء بل وجدناهم يقولون بخلافته الأخرويّة. فيقول المهاجر: سيعود الإمام علي ويحكم أربع وأربعين ألف سنة[64]. وينبني هذا القول كغيره من الأقوال الأخرى على الكثير من التناقض، فالقول بعودة علي إلى الدنيا يتناقض مع جدليّة الحياة

والموت وإن كان يتّفق في جزء منه مع نظريّة الرجعة في الفكر الشيعيّ. كما أنّ التصوّر القاضي باستخلاف علي أربع وأربعين ألف سنة مغال فيه من جهة إطلاقه لمبدأ الخلافة. ويبدو أنّ سيطرة السيّاسي على الوعي الشيعي هو الذي وجّه ذلك الاعتبار، فلم يتجرّد بعد ذلك الوعي من فكرة الإمامة، فإذا بها منفتحة على عالم الآخرة.

إنّ القول بعودة علي إلى سدّة الخلافة يتضمّن ترهيبا للمخالفين ممن أنكروا خلافته الدنيويّة. وهذا التصوّر له ما يُردفه عند الأوائل من الشيعة عند حديثه عن الرجعة " فينتصر الله تعالى لمن تعدّى عليه قبل الممات، ويُشفي غيظهم منه لما يحلّه من النقمات"[65]. ويتلبّس هذا القول بالسيّاسي في إشارة إلى أنّ إمامة علي الإلهيّة أمر لا مفرّ منه، وأنّ الاختيار الإلهيّ سيتحقّق لا محالة. بيد أنّ تلبّسه بالديني من جهة أنّ الله هو الذي يمنح فرصة الانتقام من العدوّ بالرجعة فيه تجنّي على العدل الإلهيّ في ما يتّصل بمسألة العقاب، فعقاب الله للمذنبين الذي لن يتمّ إلاّ في العالم الأخرويّ.

لا يعتبر القول برجعة علي وخلافته وانتقامه من أعداء شيعته نشازا في الأدبيّات الشيعيّة ، بل هو تصوّر يؤسّس لشخصيّة علي الأخرويّة، تصوّر يقدّمه في صورة إله. صورة تُخفي غايّة شيعيّة مرجوّة في تعويض الظلم والاظطهاد الدنويين. فعلي ربّ الشيعة يوم القيامة " علي بن أبي طالب ربّنا يوم القيّامة...وسيدخلكم النّار"[66]. وهذا القول فيه إصرار على تأليه صورة علي بن أبي طالب رغم بشريّته التي تتفّق فيها كتب الأخبار لدى عموم المسلمين وبعض الشيعة أيضا.

إنّ تلك الصورة لا تتفق مع ما ألفيناه في كافّة النصوص الدينيّة التي آمنت بالله ربّا للدنيا والآخرة، وتُعارض ما اتّفق عليه غالبيّة الشيعة، خاصّة أرباب الحديث عندهم. فيقول "أبو جعفر عليه السلاّم: إنّ ربّي تبارك وتعالى كان ولم يزل حيّا بلا كيف ...ولا كان في شيء ...ولا ابتدع لمكانه مكان ... ولا يُشبهه شيئا مذكورا ولا كان خلوا من الملك قبل إنشائه ولا يكون منه خلوا بعد ذهابه...كان أوّلا بلا كيف ويكون آخر بلا كيف ولا تنزّل به الشبهات"[67]. فلئن كان هذا قول أرباب الحديث عندهم ممن آمنوا بإيمانهم وتديّنوا وفق ما صاغوه من أحكام وصاروا شيعة التزاما بما أجمعوا عليه، فكيف للعقل أن يعتقد في إله غير الذي اعتقد فيه أسلافه. فعن أيّ إله يتحدّثون؟ فأظنّه "إله سيّاسويّا" قد تبرّأ منه علي بن طالب، الذّي أضحى إله وفق تصوّر المغردين في مواقع اليوتوب " يتولّى الوظائف الإلهيّة من غير أن يدّعي الألوهيّة"[68]. تقاسم إذن علي، صورة الربوبيّة مع الله خالق الكون، فإذا بالربّ يتدحرج ليصبح مربوبا للأئمة"[69] يأتمر بأمرهم. فلا يتحدّد مصير شيعة علي بن أبي طالب

إلاّ بأمر من هذا الأخير يُنجيهم رغم معصيّتهم. فيقول عبد الله جنوف معلّقا عن هذا التصوّر قائلا " إنّ الله يُصبح يوم القيّامة في مرتبة من مراتب الأئمّة فيتوجّه إليه بالأمر والنهي"[70].

ليس ربّ المغالين من الشيعة في مواقع اليوتوب ربّ آمن به كلّ البشر، هو ربّ نسج صورته المتخيّل السيّاسي الغالي. فرغم ما في نصوص الأولّين من مصداق لحكمة الربّ وربوبيّته لعالمي الأرض والسماء، ولعالمي الدنيا والآخرة، بيد أنّنا ألفينا صورة ثاويّة لربوبيّة علي بن أبي طالب هو منها براء. فغلو صورة الربوبيّة يكشف عن تورّط العقل السيّاسي في تكييف صورة علي مع المقصد والتصوّر.

لقد حاز علي بن أبي طالب وفق تصوّر المغالين كلّ صفات القداسة، هو أبّ البشريّة والنبيّ الخاتم والإله الأخرويّ. فحيثما وُجد التقديس كان علي سيّده. فتحوّل حضوره من مسار بشريّ إلى مسار إعجاز عاند به المتشيّعون له سيّاسيّا الاختيارين الإلهي – عند اصطفائه للنبيّ محمّد نبيّا خاتما- والبشري في مبايعته لأبي بكر الصديق خليفة للرسول. وقد يكون الردّ على سلوك أهل السقيفة في عدم منحهم الحقّ لعلي بقيّادة المسلمين دينيّا وسيّاسيّا من بعد وفاة النبي بيد أنّه لا يُجوز للغلاة من الشيعة أن يجعلوا من علي شخصيّة تتعالى عن التاريخي والبشري في مرحلة أولى و تتخطّى من ثمّة قدر الإسلام والمسلمين والاختيار الإلهي .

وقد نجد في صورة علي بن أبي طالب ما يتّصل في بعض أبعادها بالدينيّ إلاّ أنّنا لا نتّهم العقل الديني في تشكيلها على ماهي عليه. والعلّة في ذلك أنّها ليست بصورته كصحابي ولاهي بصورته كخليفة للنبيّ محمّد. ودفع التهمة عن العقل الديني نبرّره بعجز هذا الأخير عن إيذاء رموزه الدينيّة إذ يسعى في المقابل إلى نمذجتهم وإكسابهم أرقى درجات القداسة، فتسليمه بالصورة التي بين أيدينا يُعدُّ انتهاكا لحرمة المقدّس الذّي يرعاه.

وببدو أنّ" ارتباط الخيال بالغفلة والوهم"[71] السيّاسيين قد وضع صورة علي بن أبي طالب على طرفي نقيض مع المعرفة التاريخيّة. فلم تنتصر لعلي الزعيم الديني والسيّاسي، بل قدّمته على شاكلة منفّرة ، خاصّة لدى من آمن به زعيما دينيّا. فيُمكن لتلك الصورة أن تُهمّش الجانب الدينيّ لابن عمّ الرسول " لتجاوّزها لطاقاتنا الإبداعيّة"[72]. وربّما قد يكون تأسّيها "بالتضخيم الرمزي الإنشائيّ"[73] الذّي دأبت عليه الأدبيّات الشيعيّة منذ لبناتها الأولى إضافة إلى تغذّيها بالمتخيّل السيّاسيّ في جانبه الغالي، من أكثر ممهّدات نزوعها إلى المثيولوجيّا.

الخاتمة

رغم أنّ شخصيّة علي بن أبي طالب ليست حكرا على الشيعة- له وجوده التاريخيّ والرمزيّ في المتخيّل الإسلامي عامّة – إلاّ أنّنا ألفينا التصوّر الشيعيّ- خاصّة المضمّن في مواقع اليوتوب- قد غالى إلى حدّ كبير في نمذجته

لصورة علي بن أبي طالب. فمن نـ ☐ إلى آخر تغيّرت الصورة، وتبدّلت الملامح، وقد صار علي نبيّا ومن ثمّة إله.

وإنّنا نُدرك من ههنا أنّ المتحدّثين عن شخصيّة علي بن أبي طالب لم يُقدّموا صورته حتّى تستجيب لرمزيّته الدينيّة واستئناف النظر في ما ألفته الذّاكرة الجمعيّة الإسلاميّة، وأن تستجيب أيضا لرمزيّته السيّاسيّة عند أهلها من الشيعة. فما قُدّم على أنّه صورة لعلي نراه صورة لشخصيّة بديلة ، هي الشخصيّة التّي تخيّلها الشيعة في بادئ الأمر سيّاسيّا وآمنوا غلوا بها أخرويّا ردّا على كلّ النصوص الدينيّة.

فقد كانت –في مواقع اليوتوب– صورة مضخّمة مبنيّة على الإشارة والإثارة رغم الوعي بوجود "متقبّل عارف حقّ المعرفة "[74]، هذا شيعيّ صدّق الكثير ممّا حوته مدوّنة أخبار المعصومين، وذاك سنّي قدّس علي الصحابي وثالث الخلفاء الراشدين.

ولا عجب أن تتعالى تلك الصورة على النصيّ والتاريخيّ، فالمتخيّل السيّاسيّ افتكّ سلطة المتخيّل الدينيّ، ومن ثمّة لم يُمهل المخيال ومعقوليّته شرعيّة الوجود. فلا التاريخي ولا السيّاسي صمدا أمام عنفوان السيّاسي الغالي. فاستئثار السيّاسي بشرعيّة التصوير أثار الكثير من الحرج للمؤمن الشيعيّ. فهل يجوز له الشكّ في أصل الخلق؟ وهل يمكن له أن يؤمن بغير الله ويجعل له شريكا؟ وكيف له أن يؤمن بغير النبيّ محمّد نبيّا خاتما؟. وإنّ دفع ذاك الحرج نراه بيّن في قول علي شريعتي " لو كان علي خبيرا ... في شؤون المجتمع وعارفا بأمور المسلمين في صدر الإسلام لما ظلّ وحيدا فريدا" [75].

الإحالات:

(1) كان النـ ☐ هو الأداة الوحيدة التي يكشف من خلالها الشيعة عن هويّتهم السيّاسيّة ومن بعدها الدينيّة في ظلّ اتّباعهم لمبدأ التقيّة خوفا من اظطهاد الآخر السنّي. فهي عماد الدين عندهم ، " قال أبو عمر الأعجمي: قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلاّم : يا أبا عمر إنّ تسعة أعشار الدين التقيّة ولادين لمن لا تقيّة له" محمد بن يعقوب الكليني،الكافي، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ج2، ص 133.

(2) يبدو أنّ عولمة الخطابات الإعلاميّة قد فكّت حصار القيّود المفروضة على الشيعة وسمحت لهم بتدويل إيديولوجيّتهم.

(3) يرى كلود إليوت أنّ كلّ المؤسّسات بدائيّة كانت أو قديمة أو وسيطة أو معاصرة تمثّل تاريخها عبر الصورة"

(4) Claude Giliot, Imaginaire Sociale et Magazi, in Journal Asiatique, T. LXXXLV, 1987, p 61.

(5) أبو يعقوب السجستاني، الافتخار، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط 1، 1980، ص 23.

(6) علي الكاش، اغتيال العقل الشيعي دراسات في الفكر الشعوبي، إصدارات إيه- كتب، لندن ، 2015.

(7) يرى سارتر "أنّ الصورة شكل معيّن يُعطي بها الوعي الجمعي لنفسه موضوعا" Jean Paul sartre, L'imaginaire, Gallimard, Paris, 1940, P 19.

(8) أنظر فيديو" خرافات الشيعة ولادة علي قبل آدم بأربعين الف سنة غلو" تم تحميله في 15-09-2011.

(9) فراس السوّاح، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة، دمشق، ط 7، 1988، ص 47. ويقولون بأنّ " الانسان خلق عبدا للآلهة، يقدم لها طعامها وشرابها"، نفسه، ص 45.

(10) أنظر فيديو " خرافات الشيعة ولادة علي قبل آدم بأربعين ألف عام"

(11) نفسه.

(12) يظهر ذلك لدى الكثيرين من الشيعة المعاصرين الذين ينكرون سيطرة الهاجس السياسي على الفكر الشيعي وتوجيهه لكافة معارفهم "فتحوّل التشيّع الأحمر إلى تشيّع أسود" في إشارة من علي شريعتي إلى تنامي العنف في الخطاب الديني الشيعي، ينظر علي شريعتي، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ترجمة حيدر مجيد،تقديم الدكتور إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان ن ط2، 2007.

(13) أنظر محمد حمزة، فضائل الصحابة بين المتخيّل والواقع التاريخي، ندوة المسلم في التاريخ، تحت إشراف عبد المجيد الشرفي، الدار البيضاء، 1999.

(14) هشام جعيّط، الفتنة، دار الطليعة ، بيروت، ط5، 1995، ص 310.

(15) عبد الله البريدي، السلفيّة الشيعيّة والسنيّة بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2013، ص 8.

(16) كان هنالك اجماع لدى لدى الشيعة على صدقيّة أقوال الأئمّة وأحاديثهم وإن عارضت أحاديث النبي مثلما "كانت اليهود تعتقد أنّ التوراة ألواح جاد بها الإله" وحيد السعفي، في قراءة الخطاب الديني، نجمة الدراسات والنشر والتوزيع، تونس، 2008، ص 18.

(17) " لقد خ [illegible] الفكر الغالي (الشيعي) – حين حديثه عن عمليّة الخلق- الأئمّ بمنزلة عظمى. واتّخذ منها برهانا على تفرّدهم عن سائر الكائنات بمكانة متميّزة عند الله يرتفعون بها عن مراتب البشريّة...فمن مقوّمات الرؤيّة الغاليّة أنّ الأئمّة خلقوا بكيفيّة تجريديّة تقرّبهم إلى المقدّس وتباعد بينهم وبين الخلق" محمّد بن الصادق جراد، الفكر الشيعي الغالي إلى نهايّة القرن الثاني للهجرة، أطروحة دكتوراه مرقونة بكليّة الآداب بسوسة، تونس، السنة الجامعيّة 2008-2009، ص 190.

(18) الكليني،الكافي، ج1، ص103.

(19) قولهم " قول حقّ لا قول زور...شهادة عيان على عالم الغيب المجهول" وحيد السعفي ، في قراءة الخطاب الديني، ص 19.

(20) علي شريعتي، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ص 48.

(21) الكلينين الكافي، ج1، ص 114.

(22) أنظر فيديو" خرافات الشيعة ولادة علي قبل ادم بأربعين الف سنة غلو" تم نشره في 15-09-2011.

(23) لمزيد التعمّق أنظر في علي المخلبي، آدم والتاريخ، أطروحة دكتورا مرقونة بكليّة الآداب بمنوبة، الجامعة التونسيّة، السنة الجمعيّة ، 2013-2014.

(24) علي شريعتي، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ص 32.

(25) نفسه، ص 43.

(26) أنظر وحيد السعفي، العجيب والغريب في كتب التفسير تفسر ابن كثير أنموذجا، تبر الزمان ، تونس، ط1، 2005.

(27) محمد حمزة، فضائل الصحابة بين المتخيّل والواقع التاريخي، ص 91.

(28) نفسه.

(29) نفسه.

(30) أنظر فيديو، شجاعة و قوة الإمام علي بن أبي طالب بنظرة شيعية، تمّ نشره في 21-04-2013.

(31) هشام جعيط، الفتنة ، ص 302.

(32) أنظر فيديو، شجاعة و قوة الإمام علي بن أبي طالب بنظرة شيعية، تمّ نشره في 21-04-2013.

(33) نفسه.

(34) محمّد عبد الوهاب اليوسفي، صورة عثمان وعلي في صحيحي البخاري ومسلم قراءة في الجذور والخصائ والدلالات، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009، ص90.

(35) نادر الحمامي، صورة الصحابي في كتب الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص 51.

(36) الكليني، الكافي، ج1، ص 116.

(37) يظلّ كتاب خليل عبد الكريم " شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة " أحد أهم الكتب التي شكّلت منعرجا هاما في كسر ما أحاط بالصحابة من من هالة القداسة لدى المسلمين" ، أنظر أيضا نادر الحمامي، صورة الصحابي في كتب الحديث، ص 19.

(38) ثبت في أغلب الأدبيّات الشيعيّة اختلاف تصوّرها حول مسألة النبوّة سواء ما اتّصل بعقيدة محمّد قبل البعثة أو ما اتّصل بمسارها، إذ كانت " تفارق الرؤيّة التي أضحت بمثابة التقليد عند فرقاء المسلمين" جيهان عامر، عقيدة محمّد

قبل المبعث لدى الشيعة الاثني عشريّة بحار الأنوار للمجلسي أنموذجا، حوليات الجامعة التونسيّة، عدد 54، لسنة 2009، ص 229.

(39) أنظر فيديو ، من خرافات الشيعة ، الوحي نزل على علي قبل الرسول، تمّ نشره في 18-07-2013.

(40) نفسه.

(41) لمزيد التعمّق يراجع محمد بن الصادق جراد، الفكر الشيعي الغالي، ص ص 96-101.

(42) نفسه، ص 102.

(43) إنّ البدعة في نظرنا هي إحدى الشفرات المهمّة لفهم وتمثّل ملامح الفكر العربي الإسلامي في ظلّ تلبّسه بالسيّاسي والثقافي، فصار الابتداع أحد أهم مفاصل الاختلاف بين الفرق الإسلاميّة ومؤدّى تبادل العنف بينها، إذ ليس العنف التبادلي بينها إلاّ نتاج تبادل تهمة الابتداع.

(44) الكليني، الكافي، ج 1، ص 175.

(45) ترى سماح حمزة "أنّ ظاهرة النبوّة ليست حكرا على ديانات التوحيد ... غير أنّ لكلّ ديانة صورة مخصوصة لأنبيائها تختلف عن صنوها في غيرها من الديّانات، حتّى وإن كانت الأسماء تتشابه والقصص يتداخل" سماح حمزة، النبيّ الإنسان والنبيّ المنمذج، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد 55، لسنة، 2010، ص 163.

(46) لمزيد التعمّق يُنظر في منصف الجزار، المخيال العربي في الأحاديث المنسوبة إلى الرسول، دار محمّد علي الحامي بالاشتراك مع مؤسّسة الانتشار العربي، تونس، ط 1، 2007.

(47) الكليني، الكافي، ج1، ص 123.

(48) Yann Richard, L'islam Chiite croyances et idéologies, Librairie Arthènne Fayard, 1991, p 17.

(49) Mohamed Ali Amir- Moezzi, L'islam chiite, Revue Le monde des religions hors- série No 2, Janvier 2004.

(50) Yann Richard, L'islam Chiite croyances et idéologies, p 24.

(51) Ibid, p 79.

(52) محمّد الجويلي، الزعيم السيّاسي في المخيال الإسلامي بين المقدّس والمدنّس، سراس للنشر، تونس، 1992، ص 17.

(53) نفسه .

(54) نفسه.

(55) بسّام الجمل، المقاربة الأنتروبولوجيّة للسيرة النبوية، مجلة مقدّمات المغربيّة، عدد 25، سنة 2002، ص 27.

(56) يرى يان ريشار بأنّ الكافي للكليني ومن لايحضره الفقيه هما من الكتب الأربعة التي تأسّس عليها الاعتقاد الشيعي .Yann Richard, L'islam Chiite, croyanses et idéologies, p 19. فقد كانت

كتب الحديث " مثل كلذ كتب النصوص في الدين ذات تعاليم وأحكام وشعائر يستقيم في ظلّها الدين" وحيد السعفي، في قراءة الخطاب الديني، ص 42.

(57) الكليني، الكافي، ج1، ص52.

(58) Mohammed Ali Amir-moezzi, Le guide divin dans le Shiisme originel.Aux sources de lésotorisme en Islam,Collection « Islam Spirituel, Ed Verdier,1992, p73.

(59) محمّد الجويلي، الزعيم السيّاسي في المخيال الإسلامي بين المقدّس والمدنّس، ص 17.

(60) نفسه، ص 16.

(61) Leigh N.B, Chipman , Mythic Aspects Of theProcess Of Adam-s Creation In Judaism and Islam In memoriam Hava Lazarus- Yafeh, studia Islamica, vol 93, 2001, éd Maisonneuve- La Rose, Paris, P 21.

(62) "أضاف الشيعة إلى العدل الإلهي عدل الأئمّة" Yann Richard, L'islam Chiite croyanses et idéologies, p 18.

(63) بسّام الجمل، المقاربة الأنتروبولوجيّة للسيرة النبوية، ص 28.

(64) وحيد السعفي، في قراءة الخطاب الديني، ص 55

(65) أنظر الفيديو المعنون: المهاجر : علي بن أبي طالب يرجع إلى الدنيا ويحكم 44 ألف سنة ، تم نشره في 16-08-2013.

(66) الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان بن المعلّم أبي عبد الله العكبري البغدادي، أوائل المقالات، تحقيق إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، ط1، 1413هـ، ص 78.

(67) أنظر الفيديو، معمم شيعي : علي بن أبي طالب ربّنا يوم القيّامة وسيدخلكم النار، تم نشره في 29-08-2013.

(68) الكليني، الكافي، ج1، ص52.

(69) عبد الله جنوف، عقائد الشيعة الاثني عشريّة وأثر الجدل في نشأتها وتطوّرها حتّى نهاية القرن السّابع من الهجرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2013، ص 385.

(70) نفسه، ص 388.

(71) نفسه، ص 389.

(72) محمّد الجويلي، الزعيم السيّاسي، ص 29.

(73) Gilbert Durand, L'imaginaire symbolique, PUF, Paris, 1968, p 47.

(74) محمّد الجويلي، الزعيم السيّاسي، ص 30

(75) histoire : dossier les , In réligions et "Job"74 Jean-Louis Déclais, personnages Bibliques dans le Coran, p 40.

(76) علي شريعتي، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ص 51.

قائمة المصادر والمراجع

(1) البريدي (عبد الله)، السلفيّة الشيعيّة والسنيّة بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، الشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2013.

(2) البغدادي (محمّد بن محمّد بن النعمان بن المعلّم أبي عبد الله العكبري) (الشيخ المفيد) ، أوائل المقالات، تحقيق إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، ط1، 1413هـ.

(3) جراد (محمّد بن الصادق) ، الفكر الشيعي الغالي إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، أطروحة دكتوراه مرقونة بكليّة الآداب بسوسة، تونس، السنة الجامعيّة 2008-2009.

(4) الجزار (منصف) ، المخيال العربي في الأحاديث المنسوبة إلى الرسول، دار محمّد علي الحامي بالاشتراك مع مؤسّسة الانتشار العربي، تونس، ط 1، 2007.

(5) جعيّط (هشام)، الفتنة، دار الطليعة ، بيروت، ط5، 1995.

(6) الجمل (بسّام) ، المقاربة الأنتروبولوجيّة للسيرة النبوية، مجلة مقدّمات المغربيّة، عدد 25، سنة 2002

(7) جنوف (عبد الله) ، عقائد الشيعة الاثني عشريّة وأثر الجدل في نشأتها وتطوّرها حتّى نهاية القرن السّابع من الهجرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2013.

(8) الجويلي (محمّد)، الزعيم السيّاسي في المخيال الإسلامي بين المقدّس والمدنّس، سراس للنشر، تونس، 1992.

(9) الحمامي (نادر) ، صورة الصحابي في كتب الحديث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.

(10) حمزة(سماح)، النبيّ الإنسان والنبيّ المنمذج، حوليّات الجامعة التونسيّة، عدد 55، لسنة، 2010.

(11) حمزة(محمد) ، فضائل الصحابة بين المتخيّل والواقع التاريخي، ندوة المسلم في التاريخ، تحت إشراف عبد المجيد الشرفي، الدار البيضاء، 1999.

(12) السجستاني (أبو يعقوب)، الافتخار، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط 1، 1980

(13) السعفي (وحيد) ، في قراءة الخطاب الديني، نجمة الدراسات والنشر والتوزيع، تونس، 2008.

- العجيب والغريب في كتب التفسير تفسر ابن كثير أنموذجا، تبر الزمان ، تونس، ط1، 2005.

(14) السوّاح (فراس) ، مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة، دمشق، ط 7، 1988.

(15) شريعتي (علي) ، التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ترجمة حيدر مجيد،تقديم الدكتور إبراهيم دسوقي شتا، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان ن ط2، 2007.

(16) الكاش(علي)، اغتيال العقل الشيعي دراسات في الفكر الشعوبي، إصدارات إيه- كتب، لندن ، 2015.

(17) الكليني (محمد بن يعقوب) ،الكافي، منشورات الفجر، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

(18) المخلبي (علي)، آدم والتاريخ، أطروحة دكتورا مرقونة بكليّة الآداب بمنوبة، الجامعة التونسيّة، السنة الجمعيّة ، 2013-2014.

[19] اليوسفي (محمّد عبد الوهاب) ، صورة عثمان وعلي في صحيحي البخاري ومسلم قراءة في الجذور والخصائ
والدلالات، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009.

[20] Amir- Moezzi (Mohamed Ali), L'islam chiite, Revue Le monde des religions hors- série No 2, Janvier 2004.

a. -, Le guide divin dans le Shiisme originel.Aux sources de lésotorisme en Islam,Collection « Islam Spirituel, Ed Verdier,1992.

[21] Chipman (Leigh N.B), , Mythic Aspects Of theProcess Of Adam-s Creation In Judaism and Islam In memoriam Hava Lazarus- Yafeh, studia Islamica, vol 93, 2001, éd Maisonneuve- La Rose, Paris.

[22] Déclais (Jean-Louis), "Job", In réligions et histoire : dossier les personnages Bibliques dans le Coran.

[23] Durand (Gilbert) , L'imaginaire symbolique, PUF, Paris, 1968.

[24] Giliot (Claude), Imaginaire Sociale et Magazi, in Journal Asiatique, T. LXXXLV, 1987.

[25] Sartre (Jean Paul), L'imaginaire, Gallimard, Paris, 1940.

[26] Richard (Yann), L'islam Chiite croyances et idéologies, Librairie Arthènne Fayard, 1991.